خليص والتاريخ المنسي (2)

محمد علي الشيخ

قراءة في الذاكرة

أشرنا في المقال السابق للمكان = خليص ، ونعني به الموقع الذي أدخله التاريخ ، وما استتبعه في مخيلة المؤرخين كمحطة في طريق الهجرة ومسالكه ، وتتصل أسبابها بالحجاج والرحالة .

عيّنت خليص نفسه ، ولم نشمله كمحافظة . وللإختيار وجاهته ، فالمشاريع التنموية على اختلاف ماهياتها نشطت داخل حدود خليص الإفتراضية على مستوى العمل الفردي والمؤسسي .

وبتحريك الذاكرة للوراء تجد أمامك مسردا من الأوائل في (التعليم - الصحة - البلديات - المكاتب الزراعية - الإمارة ... الخ .

يلحق بهذا السبب - تعيين المكان - اتساع إمارة خليص = المحافظة حاليا ؛ فليس في قدرة الباحث أن ينصف كل هذه المراكز التابعة لخليص ، وما حظيت به من إسهامات أعادتها إلى واجهة الأحداث ؛ وحتى إن هو حاول فلن يتجاوز التاريخ الوصفي للظواهر والأحداث كما هي موجودة في الواقع دون توثيق وتفسير وتحليل عميق . ذلك أن الكتابة للتاريخ هي مضايفة الحدث للحدث ، واشتباك مع الحركة الخطية في صيرورتها وعبورها .

كانت مركزية خليص حارة المغاربة بثقلها الإقتصادي والنخبة من رجالها . وقبل أن نسهب في تفاصيل هذه المقولة نلفت النظر إلى المسمى = حارة المغاربة ؛ فلم نعرف (حيا) على امتداد المحافظة لازمته هذه التسمية وتبناها أهله كمثل حارة المغاربة

. وفي التعريف : الحارة منطقة سكنية معينة ، غالبا ماتكون مألوفة لأهلها ، وتتميز بخصوصيتها وتماسكها الاجتماعي . فإذا ماعرفنا أن مصطلح (الحي) يحمل بمفهومه الشامل مضامين أوسع من الحارة ، وأنه منظومة حياة متكاملة يجري تشكيلها لترتقي بالمجتمع وأنماط معيشته : أمكننا أن نقول مطمئنين أن (الحارة) أقدم من (الحي) في المنشأ والمنشط . وأنها غالبا ماتقوم على وحدة النسب والتجانس وأسلوب المعاش .

ونخلص للقول : أن خليص مغربية عرفت بهم ، وعرفوا بها ، وأن المركز حارة المغاربة ، ومانشأ حولها من الأطراف عشوائيات : أزيل بعضها ، وصودر بعضها لعدم صلاحيته للسكن ، وهجر أهلها البعض الآخر ، وانتقلت الأغلبية لمشاريع الإسكان الجديد . وستبقى خليص مغربية كمثل جدة حضرية ، وستبقى غران صحفية كمثل مكة قرشية !!!

محمد علي الشيخ